5

إيواء الأطفال المشرّدين

البيرو

كثيـرًا مـا يُؤخذ أحدنا بالأبطـال مناجيًا ذاته: أنا معجـب بهم، ولكني لن أستطيـع أن أكون مثلهم. وفي الحقيقة أن البطولة تبدأ عادة بعمل متواضع يفتح بوابة الدخول إلى عالمها الرائع.

كانـت لوسي بورخا Lucy Borja ممّن عبروا تلـك البوابة. حدث ذلك في عام 1991 عندما أنقذت طفلَيْن مشرّدَيْن كانا خائفَيْن من المبيت على الرصيف في أحد شوارع مدينة ليما، عاصمة البيرو. سمعت لوسي لأول مرة بوجود أطفال الشوارع، فأنشأت برنامج «الجيل» Generation للوقاية من مرض نقص المناعة المكتسـب – الإيـدز. أخذت تزور السجون بحثًا عن الأحـداث. روى لها الأطفال تجاربهم الشخصية مع حياة التشرد التي كانوا يتعرضون فيها إلى خطر العنف يوميًّـا، واكتشفـت أن عصابات الاتّجار بالبشر قـد أحضرتهم إلى العاصمة من المناطـق الريفية، وأن آخرين هربوا من بيوتهـم من الفقر والإساءات الجنسية في منازلهم.

وكغيرهم من الأطفال المشرّدين في العالم، يعاني أطفال الشوارع في البيرو من سلسلة لعنات متلاحقة منذ انفصالهم عن عائلاتهم نتيجة لصدمة ما. وعندما يغادرون بيوتهم، يصبحون فريسة سهلة للوحوش البشرية من الأنواع كافة، حيث تنصب عصابات الاتّجار بالبشر الشباك لاصطيادهم، أمّا الشرطة فتعاملهم على أنّهـم خارجون عن القانون، في حين ينظر إليهـم المجتمع الراقي نظرة دونية. ولذلك، فهم يحملون على أجسادهم النحيلة وصمة الرفض أينما حلّوا.

فـي عام 1991، أعلن الرئيس البرتو فوجيمـوري أن حكومته سوف تنظّف العاصمة من أطفال الشوارع. بعد هذا الإعلان بمدة قصيرة، وجدت جثث لعدة أطفال ملقاة في الحدائق العامة، كما فُقد أطفال آخرون. أخبرها الأطفال أن رجال الشرطة كانوا يخوفونهم ويرعبونهم، وكانوا يصوبون مسدساتهم إلى رؤوسهم.

ولذلك، عندما وجدت لوسي هذين الطفلين المذعورين، دعتهما للمبيت في مقـر برنامج الجيل، وطلبت إليهما إخبار الأطفال الآخرين أن بإمكانهم المبيت فـي المقر أيضًا. كانت لوسي على موعد لحضور حفل عائلي في تلك الليلة. لذا، طلبت إلى الحارس السماح بدخول أي طفل يأتي إلى المقر.

بعـد انتهاء الحفل، ذهبت لوسي لتفقّـد ضيوفها الصغار، وتمنت أن يكون الحارس قد نفّذ تعليماتها.

عندما وصلت لوسي إلى المقر، وجدت مفاجأة بانتظارها؛ أدارت المفتاح فـي قفل الباب ثـم دفعته، لكن الباب لم ينفتح رغم محاولاتهـا، كما لو أن شيئًا ثقيـلا قد وُضع خلفه. وتمكنـت أخيرًا بمساعدة أولادهـا أن تحرك الباب قليلا بقدر يسمح بمرورها.

كان المـكان مظلمًا، فأخذت تتحسس طريقها بحثًـا عن مفتاح الكهرباء، فتعثّرت في ما حسبته سجادة مطوّية، لكنها استعادت توازنها، واتكأت إلى الحائط، وظلت تتلمسه بأصابعها إلى أن اهتدت إلى مفتاح الكهرباء.

عندمـا أُشعل النـور، نظرت إلى موضع قدميها، فـرأت عدة أطفال صغار يتكومون على السجاد وقد التصقت أجسادهم بالباب. جالت ببصرها في المكان، ولم تصدّق عينيها؛ المكان يعجّ بالأطفال حتى لم يعد فيه موطئ قدم، بل إن بعض الأطفال حشروا أنفسهم في خزانات الملفات.

كان عـدد الأولاد الذين وجدتهم نائمين فـي المقر في تلك الليلة أكثر من ستمئـة طفل. لقد توافدوا جميعهم، بعد انتشار خبـر وجود مكان آمن، كانتشار النار في الهشيم.

لم تعرف لوسي التفاصيل كلها عن الأسباب التي أدت إلى إخافة هؤلاء الأولاد والبنات، ولكنها عرفت شيئًا آخر، وهو أن حياتها لن تعود كما كانت عليه من قبل. لقد عرفت الطريق للدفاع عن حقوق هؤلاء الأطفال. استمر تدفق الأطفال، وظلّوا يأتون كل ليلة باحثين عن مأوى. أدى هذا التّدفّق المتواصل إلى تمرد العاملين في المقر، والذين لم يعـودوا قادرين على التعامل مع هذه الأعداد الغفيرة، فقالوا: إما نحن، وإما الأطفال. ردّت لوسي بهدوء: حسنًا، الأطفال.

الجنس في الشارع

في عام 2004، كلفـت منظمة أنقذوا الأطفال المعنية بحقوق الأطفال، والتـي تتخذ مـن السويد مقرًا لهـا، فريقًا مـن الصحفييـن الاستقصائيين بإجـراء دراسة فـي البيرو تتنـاول الاتّجار بالأطفال لأغراض الجنس. كان هـدف الدراسة أساسًا هو التركيز على الباحثين عن المتعة الجنسية لمعرفة مشاعـر البشر القادرين على انتهاك حقوق الأطفـال وتفكيرهم.[1] إلا أنهم وسّعوا مجال بحثهم، وأعدوا أفضل تقرير عن الاتّجـار بالأطفال لأغراض الجنـس فـي دولـة واحـدة مـن دول العالـم.

ونظـرًا لصعوبة جعل المجرمين يعترفون صراحة بسلوكهم غير القانوني، أنشأ الصحفيون مجلة وهمية لصور الأطفال الإباحية سمّوها «الجنس في الشارع» ونشـروا إعلانات توظيف – إداريين، محامين، كتّاب، سواقين، حراس وغيرهم – في كبريات صحف البيرو.

وفي أثناء المقابلات، تحدّث المتقدمون للوظائف من الطبقات الاجتماعية جميعها عن خبراتهم في صناعة تجارة الأطفال للجنس، وعن فهم لاحتياجات السوق.

أعد الصحفيون تقريرهم النهائي تحت عنوان الزبون الخفي، ووصفوا فيه كيف تدير العصابات الاتّجار بالأطفال لأغراض الجنس في عموم البيرو. وينتهي المطاف بعدد كبير من هؤلاء الأطفال في شوارع ليما. ومما يدعو للأسف أن هؤلاء المحققين لم يجدوا سوى منظمات قليلة تعمل حاليًّا لإنقاذ الأطفال والمراهقين من سوق الجنس، كما أن الحكومة لا تبذل جهدًا لدمج هؤلاء اليافعين في قوة العمل في البلاد [2]. ويثبت هذا التقرير أن منظمة الجيل تكافح وحدها - بمساعدة عدد قليل من المؤيدين - على جبهة إنقاذ الأطفال المُستغلِّين جنسيًّا، وتطهير شوارع ليما من عصابات الاتّجار بالأطفال.

ساندرا؛ حياة تاجرة رقيق أبيض

ساندرا، لا تشبه الصورة النمطية للقوّاد الخطير. وقد وافقت على إجراء مقابلة معها مقابل حفّاظات لوليدها. وفي حين كان طفلها يرضع من ثدييها، حكت لنا ساندرا تجربتها المؤلمة التي ابتدأت من طفلة مشردة وانتهت إلى تاجرة جنس. لم تعرف ساندرا أباها مطلقا، وربتها جدتها وأمها في ظروف بائسة، ثم طردتاها عندما أصبح عمرها 8 سنوات، وقلن لها ألا تعود إلاّ إذا جمعت شيئًا من المال للمساهمة في تكاليف المعيشة. نامت ساندرا في شوارع ليما الليالي، كانت خلالها تشعر برعب شديد. ولذلك، عادت إلى بيتها على أمل أن تكون أمها وجدتها قد اشتاقتا إليها، أو أنهما أعادتا النظر في إنذارهما لها بعدم العودة إلا إذا جمعت بعضا من المال.

ولكن، ما إن دخلت البيت حتى عاجلتها جدتها بالسؤال: هل أحضرت معك أي نقود؟

لا يا جدتي، لم يقبل أحد أن يشغّل بنتًا عمرها 8 سنوات. ردت عليها ساندرا وهي تبكي: كما أن الوضع مخيف هناك.

لـم ترحم الجدة دموعها، وقالت لها: لا تكونـي طفلة. أنا وأمك لا نجد ما نقتات به.

ولكـن يا جدتي الوضع خطير ـــــــ، لم تكمل ساندرا جملتها وإذ بصفعة شديدة على وجهها، وقالت الجدة مهددة: أخرجي الآن، ولا تعودي إلا ومعك نقود.

خرجت ساندرا باكية، تجرّ أذيال الخيبة، لا تدري إلى أين تذهب.

الأطفال ليسوا سلعة للدعارة

فـي معظم مدن العالم، يُجبر الأولاد والبنات الصغار على العمل في مهنة البغاء. وتستهدف عصابات الاتّجار بالبشر الأطفال من عمر 12 — 17 عامًا؛ لأن طالبي المتعة الجنسية الذين يترددون على بيوت الدعارة يفضلون المراهقين على ما عداهم. وإذا ما نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر تجار الرّقيق، فإن المراهقين يعيشون حياة أطول ممن هم أكبر سنًا. وإذا ما تقدموا في السن، فإنهم يبدؤون بفقـدان جاذبيتهم، أما إذا كانوا أصغـر سنًا فإنهم سوف يثيرون انتباه سلطات تطبيق القانون.

ونظـرًا لأن الاتّجار بالجنس يختفي وراء قناع الدعارة، فإنه لا يثير سخط عامـة النـاس. وعليه، ينظر إلى الأطفال على أنهم مجرمـون أو شاذّون جنسيًّا. وفي أفضل الحالات، يعاملون كضحايا بيئاتهم البائسة التي تجعلهم يقررون بيع أجسادهم من أجل تأمين لقمة عيشهم.

يختفي المجرمون الحقيقيون في الظل، وهم يندرجون تحت شبكة غير قانونية تضم: المهربين، والقوّادين، والمُجنِّدين، وأصحاب بيوت الدعارة، وطالبي المتعة الجنسية الذين يستغلون الأطفال الضعفاء ويجبرونهم على ممارسة الجنس التجاري. لذا، فإن الرأي العام سوف يتحرك عندما تتكشف أمامه مكونات هذه الشبكة الإجرامية. ومن المؤكد أن الأطفال لا يرغبون في تجربة الصدمة الناجمة عن انتهاك الرجال البالغين لأجسادهم عشرات المرات كل ليلة، فهذا ليس خيار الأطفال؛ إنّه الاغتصاب ليس إلّا.

ويجب ملاحظة أن الآليات نفسها الخاصة بالعبودية المالية والتخويف العنيف التي تؤدي إلى استرقاق الأطفال، تمارس أيضًا ضد النساء من الأعمار كافة. وهناك مومسات راشدات يروين حكايات مفزغة عن كيفية حبسهن داخل خزائن من قبل القوادين، وجلدهن على باطن أقدامهن، وإجبارهن على ممارسة الجنس مع أكبر عدد من الزبائن. إن القوّادين هؤلاء يرون المومسات على أنهن ملك خاص بهم. لذا، فإنهم يقاومون أي شخص يحاول حرمانهم من هذه السلطة.

ومما لا شك فيه أننا نحتاج إلى فهم مختلف لمعنى الدعارة. وفي هذا السياق، تشير كاترين كوهين، أحد مؤسسي مشروع بولاريس المناهض للعبودية في واشنطن، إلى محادثة أجرتها مع امرأة كورية في العشرينيات من عمرها، شكت في أنها من ضحايا تجارة الجنس. فعندما سألتها كاترين إن كانت قد أُجبرت على القدوم إلى الولايات المتحدة للعمل في سوق الجنس، نفت تلك المرأة ذلك بشدة.

قررت كاترين تغيير الاتجاه وصيغة السؤال: حسنًا، على مقياس من 0 — 100، إلى أي مدى تتحكمين بقراراتك اليومية لمواصلة بيع جسدك للرجال؟

ولأن المحادثة وصلت إلى هذا الحد من الصراحة، فقد كانت كاترين تتوقع أن يكون رد المرأة قريبًا من 90%، ولكنها فكرت لثوانٍ قليلة وكان ردّها مفاجئًا: حسنًا! يمكن أن أقول بحدود 5%.

ارتبكت كاترين جراء هذا الجواب، فحاولت الغوص أكثر في عقل تلك المرأة، وسألتها: لِمَ تشعرين بكل هذا الولاء لصاحبة بيت الدعارة الذي تعملين فيه؟

أجابت المرأة: لقد أخبرتني صاحبة بيت الدعارة أنها سوف تدفع كفالة مالية، وتدفع أجرة المحامي في حال القبض عليّ أو وقوعي في مشكلة. أنا لست من هنا (أي الولايات المتحدة)، ويمكن لرجال الشرطة أن يسبِّبوا لي المشاكل، ولهذا فإني بحاجة إلى حماية. وكشفت المرأة الكورية أن صاحبة بيت الدعارة تحتفظ بمدخراتها جميعها. وإذا ما حاولت ترك العمل، فلن تعطيها شيئًا من نقودها. كما أن القوّاد يوفر لها الحماية، مع أنه يهدد بضربها إذا ما حاولت الهروب.

هل هذه المرأة مُستعبدة؟ إن الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء للقول إنها كذلك، مع أنها، على أرض الواقع، ليست سجينة خلف القضبان. ومما يؤسف له أن المرأة ذاتها ترفض هذا التصنيف، فقد استكانت لمصيرها، ولم تعد ترى أن الإكراه قيد لها.

لكن إجبار الأطفال على ممارسة الجنس التجاري يتضمن غموضًا أقل. تختلف العملية الحقيقية للاستعباد من مكان إلى آخر، أما المتغير المستقل الأكثر تأثيرًا فهو قوة سلطة تنفيذ القانون. وقد كشفت الدراسات التي أجريت في القارات الخمس نمطًا موّحدًا مقلقًا للتجارة بالأطفال، بصرف النظر ما إذا كان الأمر يتعلق بتورط شبكات الجريمة العالمية، أو كان الإكراه يمارس على مستوى إقليمي مع لاعبين خاصين. وتتضمن عملية الاستعباد خمسة عناصر منتظمة:

التحديد: غالبًا ما تستهدف عصابات الاتّجار بالبشر الأطفال من تجمعات تفتقر إلى سلطة اجتماعية، وبموافقة والدّي الضحية في بعض الأحيان.

الاختطاف: تنقل العصابات المُجنّدين من مجتمعاتهم المحلية وإبعادهم إلى مكان يصعب فيه الحصول على مساعدة من سلطات تطبيق القانون أو المواطنين العاديين.

السيطرة: تسيطر العصابات على جوانب حياة الطفل جميعها لدرجة يصبح معها التفكير في الهرب مُسْتَبْعَدًا.

العنف: تمارس هذه العصابات العنف وسيلة لتعزيز السيطرة، وضمان طاعة الضحية والتزامها.

الاستغلال: في سعيها وراء المكاسب المالية، لا تعير هذه العصابات أي أهمية لصحة الطفل الجسدية أو النفسية.

لوسي بورخا؛ الأزمة المعتمة وأضواء المكاتب الساطعة

واصل أطفال الشوارع تدفقهم إلى ملجأ لوسي. وبعد وقوع حادث مؤلم في أحد ميادين المدينة، كان عليها أن تبحث عن رعاية طبية لـ 18 طفلاً أطلقت الشرطة النار عليهم. وجعلها هذا الحادث تفكر في عدم الاكتفاء بجعل مقر مشروع الجيل مجرّد مأوى للأطفال، لأنها كانت تهدف إلى جعل الأطفال يعيشون حياة طبيعية.

تمتلك لوسي موهبة متميزة في التواصل مع اليافعين في الأزمات. وبالرغم من أنها كانت جدة في الستينيّات من عمرها، إلا أنها أقامت معهم علاقات إنسانية متينة مما أكسبها ثقتهم. وكنت تراها محاطة بالأطفال في كل ساعة من

ساعات النهار. ولم يكن يقلقها ضجيجهم ولا نشاطهم ولا حيويتهم، بل كانت تظل محتفظة بهدوئها، غير أنها كانت تبدي حزمًا شديدًا عندما يستدعي الأمر ذلك.

عندما استقرت المجموعة الأولى من الأطفال في ملجأ الجيل، وضعت لهم لوسي قاعدة سلوك عليهم الالتزام بها، وهي الإقامة في الملجأ والذهاب إلى المدرسة. ومع أن الأطفال المراهقين كانوا يشتغلون في الصباح، إلا أنهم كانوا يحضرون الدروس بعد الظهر.

وبعد أن تعززت قاعدة لوسي، وجد سبعة أولاد تتراوح أعمارهم بين 14 — 16 سنة – عملا في صالون حلاقة. وبعد مضي شهر من عملهم بالصالون، سألتهم لوسي عن طبيعة عملهم، فأخبروها بأنهم ينظفون الصحون، ويغسلون المفارش والملاءات والمناشف. عندئذٍ، راودتها الشكوك؛ فصالون الحلاقة لا يستلزم كل هذه الأعمال! اتصلت لوسي ببعض مصادرها، فاكتشفت أن هذا الصالون مجرد واجهة لأحد بيوت الدعارة، فطلبت إلى الأولاد ترك العمل فورًا.

في اليوم اللاحق، ذهب الأولاد إلى الصالون للمطالبة بأجورهم، وإبلاغ القائمين عليه نيتهم ترك العمل. عرضت عليهم النساء المشرفات على الصالون ممارسة الجنس مع البنات الصغيرات اللواتي يسيطرن عليهن مقابل أجورهم. كما عرضْن فلما إباحيًّا، وطلبن إلى الأولاد الذهاب إلى الغرف الخلفية واختيار ما يرغبون من مومسات. إلّا أنهم رفضوا هذا العرض وأصروا على استلام أجورهم نقدًا، أغلقت النساء أبواب الصالون، وهددوهم بعدم مغادرة المكان إلا بعد ممارسة الجنس مع البنات. شعر الأولاد بغضب شديد، فأخذوا يعبثون في محتويات المكان. اتصلت النّسوة بالشرطة وأبلغتهم بأن أطفال الشوارع يتلفون الممتلكات الخاصة. اعتقلت الشرطة الأولاد جميعهم، باستثناء واحد هرب من الشباك الخلفي، وعاد إلى مكتب الجيل ليبلغ لوسي بما حدث.

عندما ذهبت لوسي إلى مركز الشرطة، قال لها الضباط هناك بأن لا علم لهم بالحادث، مع أنهم في واقع الأمر كانوا يحتجزون الأولاد في إحدى الزنازين. أمام هذا الإنكار، لم تجد لوسي أمامها أي خيار سوى إبلاغ إحدى قضاة المحكمة واسمها ريجينا شافيز المعروفة بنزاهتها. ذهبت القاضية إلى الصالون، فوجدت مكتبة من الأفلام الإباحية لأطفال قاصرين. كما عثرت على أدلة إضافية مما زاد من اقتناعها أن هذا الصالون ما هو إلا ماخور دعارة.

بعد مرور ساعات قليلة من انتهاء القاضية من تحقيقاتها، جاءت الشرطة إلى مقر الجيل لاعتقال لوسي بتهمة انتهاك حرمة أملاك الآخرين، وانتحال شخصية أحد القضاة. عندما علمت القاضية بالأمر، اتصلت بالشرطة وأبلغتهم بأنها هي التي دخلت الصالون وليس لوسي.

كشفت التحقيقات اللاحقة الأسباب التي دعت الشرطة إلى هذا التصرف؛ لقد تبين أن الصالون يقع مقابل بناية تضم عدة وكالات حكومية مباشرة، بما فيها مقر قيادة شرطة العاصمة، وكان كثير من الزبائن يأتون إلى بيت الدعارة من هذه المكاتب.

أخذت لوسي تحلّ اللغز شيئًا فشيئًا، وأدركت أن المجرمين الذين يستغلون الأطفال في البيرو لا يتسكعون فقط في الأزقة المظلمة، بل يجلسون أيضًا خلف مكاتبهم الوثيرة، وفي أحضان وقار السلطة.

الاتّجار بالأطفال: التحديد والاختطاف

يتحاشى المتاجرون بالبشر اختطاف الأطفال من أحياء تتمتع بسلطة اجتماعية، إلا في حالات نادرة، لأن الإقدام على مثل هذا العمل تكتنفه مخاطر كبيرة. وفي حال اختطاف طفل لعائلة من جماعة ذات نفوذ، فإن هذه العائلة سوف تستنفر السلطات القانونية والسياسية لإطلاق عملية بحث شاملة عن الطفل

المخطوف. وفي حال القبض عليهم، فمن المحتمل جدًّا أن يُقدموا إلى المحاكمة وبالتالي يعرضــون عملياتهم برمّتها إلى الخطر. لذلــك، فإن عصابات الاتّجار بالبشــر ليست مضطــرة للدخول في هذه المخاطرة؛ فلديهــا خيارات كثيرة في الأحياء الفقيرة.

يضاف إلى ذلك أن المتاجرين بالبشر يستطيعون خداع العائلات الفقيرة بكل سهولة من خلال الوعود المعسولة بحياة أفضل. فمثلا، إغراء الحصول على عمــل دائم ربما يجعل أولياء الأمــور يتغاضون عن المخاطــر المرتبطة بإرسال طفلهم إلى مكان بعيد. وقد يعد المتاجرون بالبشر البنات المراهقات بالحصول على وظيفة عارضة أزياء في بلد آخر، أو على عمل في مطعم أو متجر يدر عليهن دخلاً وفيرا. وغالبًا ما يُقال لأولياء الأمور في المناطق الريفية بأن هناك عائلات ثريّة في المدن بحاجة إلى جليسات أطفال أو عاملات منازل. وبالطبع، فإن هؤلاء المتاجرين لا يلتزمون بهذه الوعود، وإنما يزينونها لأولياء الأمور من أجل انتزاع فلــذات أكبادهم من أحضانهم. وعندما ينجحون في ذلك، فإنهم يبيعون الطفل أو الطفلة إلى صاحب بيت دعارة عند أول فرصة متاحة. فلعبتهم تتمثل إذن في خداع العائلات الفقيرة وبيعها وَهْم الخلاص من ظروفها الاقتصادية الصعبة.

وبهذا الخصوص، فإن العائلات من الطبقة الوسطى الدنيا ذات الطموحات الكبيرة تكون عرضة للوقوع ضحية هذه العصابات، مثل معظم العائلات الفقيرة؛ فالانتقال من هذه الطبقة إلى طبقة أرقى إغراء لا يُقاوم.

وربمــا تبدو الصورة أكثــر وضوحًا من حالة «لان»، وهي فتــاة لاوسيّة تبلغ من العمر 17 عامًا، وتعيش في بانكوك. هاجرت مع والدتها واثنين من أشقائها، ولمّــا يبلغوا من العمر عشر سنوات بعد. عملت الأم وأطفالها في إحدى الأسواق المحليــة معا. ومــرت السنون، واستطاعت العائلة التخلص من فقرها المدقع.

وتعمـل «لان» حاليًـا مضيفة في فندق سياحي فاخر في بانكـوك، وتمتلك سيارة خاصة بها، وخزانة تغصّ بأحدث الأزياء الغربية.

وصلت لان إلى ما وصلت إليه بعد أن ذاقت طعم الرفاهية، مما جعلها تطمح إلى أسلوب حياة أكثر إغراء. كانت أفضل صديقاتها قد التقت رجلاً أمريكيًّا يزور بانكوك في رحلة عمل، وصار بعد ذلك يبعث إليها بتذكرة طائرة لتلتقيه في أحد المنتجعات السياحيـة. وفي إحدى المرات، دعا ذلك الأمريكي لان وأرسل إليها تذكرة طائرة. ورغم انتشار تجارة الجنس في تايلاند، إلا أن لان لم تشك في أن هنـاك خطورة من وراء هذه الدعوة. ولأنها فـي الحقيقة تطمح في التعرف إلى صديـق يقدم لها الهدايـا والرحلات مثلما هو الحال مـع صديقتها، فلن يمضي وقـت طويل حتى تجد نفسها في شَرَاك إحدى عصابـات الاتّجار بالبشر، ما لم تغيّر تفكيرها الساذج.

ويقول المناهضون لتجارة الجنس حول العالم في تقاريرهم إن الآباء يبيعون أطفالهم أحيانًا ليتمكنوا من صيانة بيوتهم وتحسينها، أو لشراء سيارة أو أي مادة استهلاكية أخرى. وتتوافق هذه التقارير مع الخبر الذي نشرته صحيفة نيويورك تايمز، والذي جاء فيه أن أبوين ألبانيين باعا أطفالهما لعصابات الاتّجار بالبشر لشراء جهاز تلفاز ملوّن[3].

وفي الأحوال كلها، عادة ما يرغب المتاجرون بالأطفال لأغراض الجنس في نقل الأطفال من منطقة سكناهم بأقصى سرعة ممكنة، وبخاصة إذا كان الطفل مخطوفًا خوفا من إلقاء القبض عليهم. وحتى لو لم يحرك والدا الطفل المخطوف ساكنًا، فباستطاعة أي قريب أو صديق راشد أن يطالب بإطلاق سراحه، والضغط على الشرطة من أجل تحريره.

أمـا الأطفـال أو البنات الذيـن لا هوية لهم، والذين يحملـون وصمة طفل مومسـ فربما لن يجدوا من يدافع عنهم. كما أن الأطفال الغرباء لا بواكي لهم،

ولا يثيـرون أي تعاطف مثلما قد يثيره الأطفال الذين ينتمون إلى جنسية أو عرق غالبية السكان. ولهذا السبب، يلجأ المهرّبون إلى نقل الأطفال المُسْتَعْبدين إلى أبعد منطقة في البلاد، أو إلى الخارج.

وبهـذا الخصوص، اكتشـف محققو منظمة «أنقذوا الأطفـال» Save the Children أن الشرطـة لا تهتم بالأطفال المهرّبيـن من المناطق الريفية. وجاء في تقرير المحققين: من المقلق جدًّا رؤية الحصانة التي تحمى شبكات الاتّجار بالقاصريـن فـي ليما، والتي تعمـل على مـر أى السلطات التي لا تحـرك ساكنًا ومسمعها، بل حتى أنها لا تعدّ الأطفال والمراهقين بشرًا بحاجة إلى حماية[4].

وتوضح قضية الطفلة غواديلوب البالغة من العمر 9 سنوات إحدى القضايا غير العادية التي قد يعمل فيها أحد الوالدين مع أحد المتاجرين بالبشر كحليفين.

كانـت والدة الطفلة قد توصلـت إلى اتفاق مالي مع أحد القوّادين لتوظيف ابنتها. في بداية الأمر، عادة ما يستخدم المهربون البنات القاصرات طعما لجذب الزبائن. وعندما يرى أحد طالبي المتعة الطفلة في الشارع، ويتوقف ليسألها إن كانت جاهـزة للعمل، يأتي دور القوّاد الذي يحضر بنتًا صغيرة أكبر عمرًا وأكثر تجربـة. لكن تمثيلية الطعم وتبـادل الأدوار لا تدوم طويلا، وبخاصة بعدما يكون القوّاد قد جمع مبلغًا كبيرًا من وراء بيع البنت الصغيرة كعذراء عدة مرات.

لحسـن الحظ أن غواديلوب التقت في الشارع أحد مستشاري مركز الجيل قبـل أن تتـاح للقوّاد فرصة بيعها علـى أنها عذراء، حيث أخذهـا المستشار إلى أحد ملاجئ الجيل مشـددة الحراسة، ولم يستطع القوّاد الاقتراب منها. بعدما علمـت الأم بالأمر، حضرت إلى مقر المنظمة، وطالبـت باسترجاع ابنتها، لكن المنظمة رفضت تسليمها إياها لأنها تعرف المصير الذي ينتظر الطفلة في حال تسليمها لأمها.

إن مركز الجيل أو أي هيئة تعنى بخدمة الطفل لا ترغب بالدخول في صراع مع الآباء حول ما هو الأفضل لمصلحة أطفالهم، ولكن معارضي الرّقيق مضطرون للتعامل مع الحقيقة المؤلمة، وهي أن هناك بعض الآباء الذين لم يتوصلوا بعد إلى قناعة تامة بأن الطفل؛ أي طفل، ليس للبيع.

ساندرا؛ الجنائنيّة

بعد أن طردتها جدّتها، هامت ساندرا على وجهها في الشوارع، والتقت أخيرًا بمجموعة من الأطفال الذين يشاركونها المصير نفسه. كانوا يسافرون في مجموعات للشعور بشيء من الأمان. ولكن بعد أن هدد رجال الشرطة في إحدى الليالي بجعل مجموعة أصدقائها تختفي عن الوجود، عثرت لأول مرة على ملجأ الجيل الذي صار بيتها لسبع سنوات قادمة.

لم يكن أي واحد من أصدقاء ساندرا يفكر في العودة إلى عائلته بعد أن تقطعت بهم السبل، لكن ساندرا ظلت تتمنى أن تثبت نفسها وأن تعود لتعيش مع أمها وجدتها.

أخذ مركز الجيل بالبحث عن وظائف للأطفال الذين يرعاهم. وبعد أن لاحظت لوسي أن الحدائق العامة في العاصمة مهملة، اقترحت على المسؤولين في المدينة الاستعانة بأطفال المنظمة للعناية بها. أطلقت لوسي على هذا المشروع اسم «شركة تصميم الحدائق» لتفتح الباب للتطور مستقبلا بحيث يستطيع الأطفال بعد تحسين مهاراتهم تقديم خدمات تصميم الحدائق على نطاق واسع.

كان عمر ساندرا 12 عامًا، وكانت أول طفلة تلتحق بعمل البستنة، ولكنها بعد أسبوعين من العمل ذهبت إلى المقاول وطلبت منه أجرها. أبلغها المقاول بأنه سيدفع لها أجرها في نهاية الشهر مع بقية الأطفال. لم ترض ساندرا بهذا الجواب، فألقت بمشط البستان وتركت العمل.

حكّ المقاول رأسه مستهجنا من هذه الطفلة المتشوقة إلى الإمساك بالنقود.

خطر اللعب مع الكبار

ينظر كثيرون إلى لوسي بورخا على أنها من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل في البيرو. وقد وُجِّه إليها أكثر من عشرين اتهامًا في المحاكم، من ضمنها اتهامات بخطف الأطفال، وتقديم إفادة كاذبة للشرطة، والتصرف ضد الصالح العام. ولا يكاد يمر يوم دون أن تدلي شخصية سياسية بتعليق عنها في نشرات الأخبار.

وما يميز هذه المرأة أنها تتمتع بعاطفة رقيقة، ولا تحب الجدال ولا المشاكسة، وهي صادقة في كل ما تقوله، وعما يدور حولها، مما جعل لها أعداء كثيرين في البيرو. وهناك أمثلة عديدة على صراحة هذه المرأة التي أوقعتها في مشاكل عدّة؛ ففي عيد الأم عام 1992، تلقت لوسي دعوة للمشاركة في مؤتمر صحفي في سجن الأحداث، إلى جانب زوجة الرئيس فوجيموري وآنا كانا شيرو، مديرة رفاه الأطفال. في بداية المؤتمر الصحفي، أعلنت كانا شيرو باعتزاز أن الحكومة خصصت خمسة ملايين دولار لحل مشكلة أطفال الشوارع. كان المؤتمر الصحفي يُنقل على الهواء مباشرة، فلم تضيع لوسي فرصة توضيح الرمزية وراء هذا الإعلان في سجن الأحداث.

عندما تحولت عدسة التلفاز إليها، اقترحت مؤسسة مركز «الجيل» توظيف الأموال العامة لبناء ملاجئ صحيَّة بدلا من استخدامها في معاقبة الأطفال المستغلين وسجنهم. وفي حين تساء معاملة الأطفال في السجون، فإن أطفال ملجأ الجيل - بالمقابل- يلتحقون بالمدارس التي يطوّرون فيها مهارات جديدة تساعدهم على شقّ طريقهم في الحياة.

أحست كانا شيرو بغضب شديد من الاستخفاف بها، ومنذ ذلك اليوم، منعت لوسي من زيارة سجن الأحداث، ومن تقديم دروس عن مرض ضعف

المناعة المكتسب – الإيدز– في المدارس الحكومية. وقد انبرت صديقة لها في البرلمان للدفاع عنها، فوزعت على محطات التلفاز مقابلات مصورة للأطفال، يتحدثون فيها عن سوء المعاملة داخل سجن الأحداث، والتهم الملفّقة التي وجهت إليهم وأدت إلى سجنهم. شاهد هذه المقابلات أحد الشخصيات التلفزيونية المعروفة ويدعى خوان كارلوس، فأنتج سلسلة من التقارير الخاصة بمعاناة الأطفال المشرّدين في العاصمة ليما[5].

وقد سُرّت لوسي لاهتمام شخصية إعلامية مرموقة بقضية هؤلاء الأطفال، فدعته لتصوير قصة حياة ثلاثة منهم كانوا يعيشون في الملجأ. خصص كارلوس وقتًا كافيًا لمقابلة هؤلاء الأطفال وتصوير أنشطتهم اليومية. بعد ذلك، أخذ يتعمق في العالم السفلي لحياة التّشرّد. صوّر كارلوس قصة أليسا؛ الطفلة التي كانت ترتدي ملابس الرجال طوال سنوات كي لا تتعرض للاغتصاب. وقد عرضت أفلامه الوثائقية على التلفاز المحلي، وحصلت على تقدير عالٍ داخل البيرو وخارجها، وفازت بجائزة من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة – اليونسكو.

لكن لوسي لم تستمتع بمشاهدة هذه التقارير الوثائقية. فعندما كان كارلوس على وشك إنهاء تصوير برنامجه، تخلى الأطفال عنها لإدخالها كارلوس في حياتهم. وكشفوا أن كارلوس أعطاهم المخدرات ومن ثمّ اغتصبهم. كان أحد المشاهد يظهر أطفال الشوارع وهم يتعاطون المخدرات والكحول عند أحد أماكن التجمع المعروفة في العاصمة. وقال الأولاد أن كارلوس في واقع الأمر هو الذي اشترى المخدرات ووزعها عليهم قبل بدء عملية التصوير. وكانت هذه المرة الأولى التي يتعاطى كثيرون منهم المخدرات.

كما ذكر الأطفال أيضًا أن كارلوس استغل أيضًا علاقته مع أليسا، ودفع لها نقودًا لتجلب أطفالا إلى بيته لممارسة الجنس معهم، بل وأرغمها على اصطحاب هؤلاء الأطفال إلى بيوت أصدقائه أيضًا.

عندما تنظر لوسي إلى الوراء، يعتصرها حزن شديد للدور الدّنيء الذي قام به كارلوس في الترويج لتجارة الرّقيق في ليما. فقبل تصوير تلك البرامج الوثائقية، كانت تجارة ممارسة الجنس مع الأطفال انتهازية إلى حدّ ما؛ إذ قد يعثر أحد البالغين على طفل في وضع بائس، فيغريه أو يغريها على ممارسة الجنس بأجر. لكن كارلوس طبّق أسلوبًا منظمًا للاتجار بالبشر. فعلى سبيل المثال، بدأت أليسا بتوريط الأطفال في تجارة الجنس بإلحاح منه، فأصبحت من أكثر القوّادين سيئي السمعة في البلاد. وبالرغم من كل ما قام به، إلا أن محاولات لوسي لتقديمه إلى العدالة باءت بالفشل جميعها، فقد رفضت المحاكم إدانة هذه الشخصية المعروفة بناء على شهادات الأطفال. ولكن لوسي لم تيأس، فأبلغت الشرطة بنشاطاته الإجرامية وحثتها على التحقيق معه.

وفي رد انتقامي لا أخلاقي، أنتج كارلوس تقريرًا إخباريًّا مصورًا عن مركز الجيل بعنوان «بيت الدعارة» حيث يُصاب الأطفال هناك بمرض الإيدز. لكن هجومه على الملجأ أدى إلى نتائج عكسية. فقد أمر أحد القضاة بإجراء كشف على نزلاء الملجأ جميعهم، ولم يجد حالة إصابة واحدة.

وفي الحقيقة أن الأطفال قلبوا الطاولة على كارلوس، وشهدوا على جرائمه الجنسية مع القاصرين. وخشية من إلقاء القبض عليه، فر كارلوس إلى خارج البلاد، وعمل لسنوات صحفيًّا في الولايات المتحدة. وبعد عدة سنوات، عاد إلى البيرو وواصل عمله التلفزيوني بنجاح.

الاتّجار بالأطفال: السيطرة والعنف

عندما يقتلع المتاجرون بالبشر الضحايا من مناطقهم، فإنهم عادة ما يبيعون الأطفال لتجار العبيد المتعاملين في تجارة الجنس، مثل القوّادين، أو أصحاب نوادي التعرّي، وصالونات الجنس، وبيوت الدعارة، أو نوادي الغناء،

أو معاهـد التدليك. ويرتبط معظم تجار الرّقيق بعلاقات قوية مع تجار الجنس، ولهـذا، فإنهم يعرفون من سيكون البائع قبل اصطياد الطفل. ومع أن من النادر حدوث ذلك، فإن بعض المهربين يعملون على اصطياد الأطفال وتشغيلهم بالتجزئة لحسابهم الخاص.

يتصرف تاجر الرّقيق بسرعة لإحكام السيطرة الكاملة على حياة الطفل، فيصادر منه الوثائق التي تكون بحوزته كلها، مثل جواز السفر، أو شهادة الميلاد، أو بطاقة الهوية وغيرها. وعندما لا يكون الطفل برفقة زبون أو شخص آخر، فإنه يوضـع تحت حماية مشددة، ويُسجن في غرفـة محكمة الإغلاق. وحتى لو تمكن الطفل من الهرب، فلن يكون بحوزته أي نقود، كما أنه قد لا يجيد التحدث باللغة المحليـة، ولا يعرف أي مكان يذهب إليه لطلـب المساعدة. وبناء على خبراتهم السابقـة، فإن الأطفـال المُسْتَعْبدين لا يثقون بالمسؤوليـن الحكوميين أو رجال الشرطة لفسادهم.

كما أن تاجر الرّقيق عمومًا ما يبقي الطفل معتمدًا عليه ماليًّا؛ حيث يسجل علـى حسابه تكاليف ضـرورات الحياة مثل المأكل والمسكـن والملبس. وسيظل الطفل مجبرًا على الاستمرار في خدمة مالكه إلى أن يسدّد المبلغ المُستحقّ عليه.

ويدعم تجار الرّقيق هذه القيود الاجتماعية بالتهديد المتواصل باستخدام العنف. ويفيد معظم الأطفال المُهرَّبين إنهم تعرضوا إلى عنف شديد في أول يومين من اختطافهم؛ بالضرب أو الاغتصاب. ويلتزم المتاجرون بالبشر بقاعدة تشير إلى أن الخوف يولد الطاعة. ولذلك، فإنهم يبقون الطفل في حالة خوف دائم.

ومثلمـا كان رعاة البقر يحطّمون نفسية الحصـان البرّي، فكذلك يتعامل تاجر الرّقيق مع أطفال الجنس الذين سوف يتعلمون كيفية تلبية رغبات الزبائن، والقيام بأي حركات جنسية يريدونها. وسوف يؤدي استخدام العنف منذ البداية إلـى وأد أي استعـداد للمقاومة عنـد الطفل. وسوف يتعرض الطفـل أو الجارية

المُسْتَعْبدة لغايات الجنس إلى عقاب وحشي وسريع إذا ما اشتكى الزبون من أن تصرف الطفل أو الطفلة لم يكن مُرضيًا.

يصبح التهديد بالعنف أمرًا شائعًا في حياة العبودية الجنسية. ويعرف الطفل أن أي محاولة فرار فاشلة ستؤدي إلى عقاب بدني قاسٍ. وعلاوة على ذلك، فإن تاجر الرّقيق قد يهدد بإيذاء عائلة الطفل حتى لو فشل في محاولة هروبه. ولتذكير الطفل بهذه الحقيقة، قد يذكر التاجر أمام الطفل بعض الأخبار، سواء المقلقة أو الصحيحة، عن أفراد عائلته، وكأنما يقول له: أنا أراقبهم وأعرف آخر أخبارهم، فلا تحاول القيام بأي عمل غبي.

تروي دينا ذات 16 ربيعا، والتي كانت تقيم في ملجأ الجيل، إنها بقيت تحت سيطرة أحد القوّادين لأربع سنوات بسبب خوفها على سلامة عائلتها.

كانت لها ثلاث شقيقات وشقيق واحد أصغر منها سنًّا، وقد هددها ذلك القوّاد بأنه سوف يلاحقهم ويجعلهم يشتغلون لديه بدلا منها إنْ حاولت الفرار. وكان يقول لها من حين إلى آخر: اسمعي! لقد رأيت أختك تركب الحافلة بعد الظهر. لقد ذهلت. إنها تكبر بسرعة، إنها جميلة مثلك.

كثيرًا ما كانت دينا تصحو من نومها كل صباح، وتقول لنفسها إنها لن تبقى يومًا واحدًا في هذا الجحيم. ولكن عندما تتذكر شقيقاتها، كانت تعزّي نفسها، وتتجلّد على عذاباتها.

ساندرا: احتراف القوادة لكسب عيشها

بعدما ورّط خوان كارلوس أليسا في عالم الرذيلة، استطاعت مع الوقت أن تحوّل هذه المهنة إلى تجارة رابحة، من خلال تدريب شبكة من سماسرة الفاحشة الذين كانوا يعملون وكلاء لها في الشوارع.

وقـد أقنعت أليسا، التي كانت تتخفي بزي الرجـال كي لا تُغتصب، تاجرة الرّقيق ساندرا أن باستطاعتها جمع أطنان من النقود من وراء التجارة بالأطفال الصغار. واتفقتا على اقتسام الأرباح من بيع الأطفال كعبيد جنس. أما شركيهما المالـي الثالث، فكان أي امرأة تقـوم بدور الأم لتبيت عندها الطفلة، وهي غالبًا ما تدير فندقًا أو تملك مسكنًا خاصًا بها.

وسرعان ما اكتسبت ساندرا التي كان عمرها 15 عامًا، آنذاك، سمعة بأنها من أشرس القوّادين في الشارع. كان أسلوبها في استقطاب عبيد الجنس بسيطًا؛ فـإذا رأت طفـلا يسير في الشارع وحيدًا، في الليـل أو النهار، كانت تهاتف أحد سوّاقي سيارات الأجرة الذين كانوا أعضاء في شبكة الاتّجار بالبشر. وبعد إبلاغ السائـق بموقعها الصحيح، كانـت تتذرع بأي سبب لبدء محادثة مع الطفل. وفي اللحظة التي تصل فيها السيارة إلى المكان، كانت تجذب الطفل وتدفعه إلى داخل السيـارة، مستخدمة العنـف إذا استدعى الأمر ذلـك. كان السواقون يغتصبون البنات العذارى في بعض الحالات، أو يبيعون عذريتهن إلى طالبي المتعة الجنسية.

كان السواقون يعيدون البنات الصغيرات إلى ساندرا بعد اغتصابهن، بعد أن تُعطى الضحية دولارًا أو دولارين مقابل المعاشرة. وحالما تنزل الطفلة المصدومة من السيارة، كانت ساندرا تبدأ عملية الضغط النفسي، كأن تقول لها: والآن، وبعد أن فقـدت عذريتك، باستطاعتك أن تجني مـالاً كثيرًا من عملك معي. عليك أن تواجهي الواقع، فأنت الآن متشرّدة.

في هذا الوقـت، تكون الطفلة تائهة ومصدومة. عندئـذ، تسلّمها إلى الأم المزيفة التي تبدو للطفلة في لقائهما الأول مثالا للحب والحنان، فتقدم لها مأوى آمنًا ووجبة ساخنة، وملابس جديدة في بعض الأحيان. ومن شأن مشاعر التعاطف هـذه أن تجعل الطفلة تشعر أنها مدينـة لتلك المرأة، فتصبح من حيث لا تدرك غارقة في مستنقع الرذيلة.

لوسي بورخا؛ توسيع العائلة

قد نجافي الدقة لو قلنا إن مركز الجيل عبارة عن وكالة أو دار أيتام أو ملجأ، فهو في الحقيقة لا يمارس هذه الأدوار المهمة الذين يأتون إليه طلبًا للمساعدة، ولكن أيًّا من هذه التسميات لا يعكس معنى العائلة الممتدة التي تميّز المكان.

تبدأ هذه العائلة من لوسي التي تقيم علاقة ارتباط شخصية مع كل طفل أو طفلة تدخل المكان. وإذا ما ذكر اسم أحد الساكنين أمامها، كانت تسرد: تاريخه، وعاداته، وهواياته، ونقاط ضعفه وقوته.

يشارك لوسي في رعاية هذه العائلة الكبيرة زوجها خوان إنريك الذي أنشأ برامج دراسات عليا في حقوق الطفل في الجامعات الكبرى، وأولادها الخمسة.

ولا تقتصر مهمة المركز على إنقاذ الأطفال وتوفير المأوى الآمن لهم فقط، بل يتعدى ذلك إلى تعليمهم وتسليحهم بالمهارات المهنية الضرورية التي تساعدهم على إعالة أنفسهم عندما يكبرون.

ويشرف المركز على برنامج لرياضة ركوب الأمواج، ويشارك فيه أطفال الملجأ الذين يقومون بدورهم بإغراء أطفال الشوارع للانضمام إليهم.

لقد تحوّل هذا المشروع الإنساني إلى قصة نجاح رائعة رغم التدخلات الكثيرة من الحكومة. وعلى مدى عقدين من الزمن، عبر بوابة المركز وخرج منها آلاف الأطفال الصغار. كانت لوسي الأم لهم؛ تغفر لهم أخطاءهم، وتتسامح معهم، وكانت تحزن كثيرًا إذا ما ذكر اسم ساندرا أمامها. كانت تعرف جيدًا ما حدث للبنت الصغيرة التي جاءت إلى الملجأ لأول مرة وعمرها ثماني سنوات. والمفارقة هي أن لوسي تجاهد لإنقاذ الأطفال الذين تحاول ساندرا تحويلهم إلى عبيد للجنس، وتتمنى في الوقت ذاته أنه سيأتي عليها اليوم الذي تعود فيه إلى رشدها.

الاتّجار بالأطفال: صناعة الاستغلال

تستحضر الفكرة التقليدية عن البغاء صورة زبون يدفع مالا لفرد بعينه مقابل ممارسة الجنس معه. ويرغب معظم طالبي المتعة أن تظل هذه الفكرة الضبابية هي السائدة؛ لأنهم لا يحبّون أن يفكروا في شريكهم في هذه العملية على أنه رقيق لغايات الجنس. ويقول تقرير لمحققي منظمة «أنقذوا الأطفال»: يزعم العملاء إنه نظرًا لعدم استخدامهم العنف لإجبار قاصر على ممارسة الجنس، فإنهم لا ينتهكون حقوق القاصر الإنسانية. وعليه، فإن الأطفال والمراهقين ليسوا ضحايا للاستغلال الجنسي[7].

وبناء على هذا المفهوم، لا يدرك معظم الناس أن النساء والأطفال الذين يبيعون أجسادهم لغايات الجنس نادرًا ما يفعلون ذلك بإرادتهم. كما أن الفكرة ليست بهذه البساطة، إذ تمتد خيوط صناعة الجنس لأبعد من ذلك؛ لأن اقتصادًا خفيًّا كاملا يقوم على هذه البضاعة. وسواء كانت هذه التجارة في ميونيخ أو فنوم بنه أو ليما، فإن قطاعات اقتصادية شبيهة تستفيد من استغلال البشر.

ويمكن تقريب الفكرة أكثر إلى الأذهان، من خلال مقارنة تجارة البغاء بعقد المؤتمرات؛ ففي الحالة الثانية، تعين المدن الكبرى العديد من الموظفين لإقناع الاتحادات العمالية، أو الجمعيات المهنية لتنظيم مؤتمراتها السنوية، أو أي فعاليات رئيسة في هذه المدن. وفي حال الموافقة، فلن تقتصر الفائدة فقط من هذا العرض على قاعات مؤتمرات المدينة، وإنما ستمتد إلى الفنادق، والمطاعم، والنوادي الليلية، وسيارات الأجرة، والمطارات، وغيرها، وبعبارة أخرى، فإن عقد أي مؤتمر رئيس في مدينة ما يحدث نشاطًا ماليًّا في القطاع التجاري للمدينة كلّه.

وبطريقة مماثلة، فإن نمو صناعة الجنس في مدينة مثل ليما، يعود بالفائدة على أطراف كثيرة، ولكن معظم الأموال تذهب إلى قنوات سرية. ويمكن القول إن عددًا كبيرًا من فنادق ليما ما كانت لتستمر بالعمل في غياب تجارة الجنس.

وبالإمكان أيضا ملاحظة الترابط المالي الذي توجده تجارة الجنس عند تجزئته إلى مستويات أدنى. فمثلا، يمكن أن تجلب طفلة واحدة جرى تهريبها إلى ليما ثروة مالية لصاحب الفندق التي تقيم فيه الطفلة. كما أن المطاعم، والمحال التجارية الموجودة في محيط الفندق سوف تستفيد من تردد عشرة من طالبي المتعة على الفندق؛ لأن أصحاب هذه المحال يتوصلون في الحقيقة إلى صفقات من عبيد الجنس لاصطحاب طالبي المتعة الجنسية إلى محالهم مقابل تناول وجبة مجانية. وإذا ما ضربت هذه العلاقات والارتباطات في آلاف المرات، فسوف تتضح أمامك صورة هذه التجارة الرابحة جلية.

أما الأفراد الوحيدون الذين لا يجنون أي مكاسب مالية من صناعة الجنس فهم الذين تقوم على عذاباتهم شبكة هذه الصناعة بأكملها؛ إنهم الرّقيق.

ساندرا؛ طريق العودة الطويل

ساندرا، آخر إنسان في العالم يتوقع العاملون في مركز الجيل رؤيته يدق باب ملجأهم. دخلت ساندرا وهي تمسك بيد طفلة تبلغ من العمر ثماني سنوات. كان وجه الطفلة مغطى بالدم، وأطرافها مغطاة بالسحجات والكدمات. تقدمت ساندرا إلى مدير المركز قائلة: أرجوكم إنقاذ هذه الطفلة، فقد أذاها أحد الزبائن، ولا يمكنها العيش في الشوارع ليوم آخر. وعندما وافق المدير على إيواء الطفلة، استدارت ساندرا، وغادرت المكان.

علت الابتسامة وجه لوسي عندما سمعت بما قامت به ساندرا، وتمنت أن تكون قد أخذت تدرك هدفها في الحياة. ومع ذلك، كانت لوسي تعرف أن طريق العودة طويل وشاق.

كانت ساندرا في الثانية والعشرين من العمر، وقد أنجبت طفلين، لكنها ظلت أسيرة للمأزق الذي وقعت فيه منذ البداية؛ وهو كيفية توفير ما يكفي من المال

لتعود إلى قريتها. كان أب طفليها سجينًا، وكم كان يعتصر ألما وهو يراها تمارس الاتّجار بالجنس. لقد حاول مرتين أن يسرق كمية كبيرة من النقود لإنقاذها مما هي فيه. وفي المرتين، انتهى به المطاف في السجن. وبقيت ساندرا تحوم في دائرة مغلقة من اليأس والضياع.

ولأن لوسي لم تفقد الأمل في توبة ساندرا، فقد ذهبت لزيارتها وأبلغتها الرسالة التي كانت ترددها عدة مرات من قبل: أنا مستعدة دائمًا لمساعدتك، ولكني لا أستطيع عبور الطريق نيابة عنك.

لوسي بورخا؛ العدل أولا

كرّست لوسي حياتها بالكامل لخدمة الأطفال الذين يعيشون في المركز. ولكن مشكلة أطفال الشوارع ظلت على أشدها، فمقابل كل طفل تنقذه، كان تجار الرّقيق يأتون بآخر يحلّ مكانه. كانت تقول دائمًا: لن يتغير شيء بالنسبة إلى أطفال الشوارع ما لم يكن العدل في صميم اهتمامات مجتمعنا. وسوف يستمر الظلم طالما استمر الفساد والجشع يحكم حياتنا.

ولتوضيح وجهة نظرها، كانت تقص أحداث مهمة فاشلة جرت لإنقاذ طفلة عمرها أحد عشر عامًا كانت تقيم في المركز، ووقعت ضحية لتجارة الجنس. بدأت المشكلة عندما اختفت البنت في أحد الأيام، ولم يعرف أحد مكانها. بعد أسبوع، مرت أسابيع، ولم يُعثر لها على أثر. وعندما يئس الجميع من العثور عليها، تلقت لوسي مكالمة هاتفية من أحد أطفال الشوارع السابقين، أخبرها فيها أنه رأى الطفلة المفقودة وهي تدخل أحد بيوت الدعارة المعروفة بصحبة رجل كبير في السن.

لم تستطع لوسي التصرف وحدها، ولذلك لجأت إلى الشرطة؛ فبالرغم من انتشار دعارة الأطفال في البيرو، إلا أن القانون ينص على أن ممارسة الجنس مع

قاصر جريمة. أقنعت لوسي ثلاثة من رجال الشرطة مرافقتها إلى بيت الدعارة لإنقاذ الطفلة. انتظر شرطيان خارج المكان، في حين دخل الثالث ليجد الطفلة بصحبة رجل. وبدلا من اعتقال ذلك الرجل، أخذه الشرطي إلى باب خلفي فاسحا المجال له للهرب، ثم عاد واعتقل الطفلة، وأخذها إلى مركز الشرطة.

تقول لوسي إن رجال الشرطة معروفون بفسادهم وأخذهم الرِّشا، وهذا أمر شائع في شوارع الفقراء. في حين نحتاج نحن إلى رجال شرطة ونظام قضائي غير فاسد لحماية حقوق المواطنين جميع هم. إن الاعتراف بأن الفقراء لهم الحقوق ذاتها مثل غيرهم، يعني الإقرار بأن أطفال الشوارع لهم القيمة ذاتها التي لأطفالنا. ولكن ما يؤسف له أن مجتمعنا غير مستعد بعد لتقبّل هذه الحقيقة.

مساعدة لوسي وأطفال البيرو

ركزّت لوسي في عملها على إقناع المجتمع بأن للأطفال المهملين القيمة ذاتها مثل بقية الأطفال الآخرين. ولهذا، فقد حاولت توفير حياة آمنة وكريمة لأطفال الشوارع. ولكنها، للأسف، لم تحصل على المساعدة المالية المطلوبة من داخل البلاد وخارجها لتحقيق هذا الهدف النبيل.

وقد هبت حملة « ليس للبيع» لمساعدة لوسي في مهمتها الصعبة من خلال بناء الملاجئ، وتوفير فرص العمل، والمشاركة في تحسين حياة هذه العائلة الممتدة.

في عام 2009، أنشأت الحملة بيت فيرونيكا تخليدًا لذكرى بنت صغيرة خنقها أحد طالبي المتعة حتى الموت. يوفر البيت مأوى للأطفال المهرّبين لغايات الجنس، حيث يعيشون فيه، ويتعلّمون، وينعمون بالحب والحماية والحرية. كما يضمّ مركزًا مهنيًّا لتعليم البنات مهارات حرفية تمكنهن من شقّ طريقهن في الحياة بدلا من الوقوع في حبائل تجارة الجنس مرة أخرى.

لا شك في أن الاقتراب من مشهد الاتّجار بالأطفال لغايات الجنس قد يصيب مناهضي العبودية بالإحباط واليأس، وبخاصة إذا لم تتعاون معهم الحكومة وسلطات تنفيذ القانون. وقد عانت لوسي كثيرًا من الإجراءات الحكومية التي أدت إلى إغلاق ثلاثة بيوت للأطفال.

وفي كثير من الأحيان، تكون لوسي هي المالكة لبيت الأطفال، لكن الحكومة لا تسمح لها بدخوله. وبالرغم من كل هذه الإحباطات، إلا أن الأطفال يمدّونها بالإلهام والعزيمة لمواصلة العمل من أجل إنقاذ الأطفال الأبرياء من براثن الفقر، والتشرد، وتجار الرّقيق.